المؤتمر الدولي الثاني للّغة العربية.

اللغـــة العربيـــة في خطـــر _ الجميع شركاء في حمـــايتهـــــا _دبي – 7-10 مايو 2013

أهمية العناية بالرقيّ بمستويات تحليل جماليات النصّ الأدبي في خدمة اللغة العربية المهدّدة بالمخاطر

بقلم الأستاذ الدكتور/ محمد مسعود جبران

عضو مجمع اللغة العربية الليبي

يتمحور هذا البحث المختصر المعنون بـ"أهمية العناية بالرقيّ بمستويات تحليل جماليات النصّ الأدبي في خدمة اللغة العربية المهدّدة بالمخاطر" في بيان أنّ جماليات النصوص الأدبية منظومها ومنثورها كانت منذ ظهور اللغة العربية في مجلاها الكامل المعتمد، والمعتد به قبل مئتي سنة من ظهور الإسلام، وانتهاء بالقرن الثاني الهجري، وهو القرن المعدود نهاية عصر الاستشهاد باللغة وشواهدها، ثم مضى هذا الاعتماد والاعتداد بالنصوص الأدبية البديعة ووهجها وجمالياتها اللغوية والفنية باعتبارها _عند الأدباء والنقدة_ خير وسيلة لخدمة اللغة العربية وتعليمها ونشرها والتبشير بها، وأفضل أداة لإشاعة عبقريتها بين أهلها الأصلاء، وبين محبيها ودارسيها المعجبين بفرائدها وروعتها من غير أبنائها إلى عصرنا الحاضر في القرن الخامس عشر الهجري/ الواحد والعشرين الميلادي وذلك لما توفره هذه النصوص الأدبية المنتخبة والجيدة ذات المواصفات الدقيقة، والشرائط المائزة العميقة، والتي يجب توفّرها من حيث جماليات المضامين والمعاني، ومن حيث جماليات القوالب والأشكال المطلوبة من ثروة لفظية زاخرة تثري حصيلة متعاطيها والمتكلِّم بها، من أخيلة وتصوير بديع, ولما تزوّد به المتلقي من الملكة في معرفة أسرارها ودقائقها، ولما ترفده به من غرس الذائقة الأدبية الرفيعة في استكناه مزايا اللغة العربية، وتجليات إبداعات أدبائها المتميزين في التفكير والتعبير.

وقد عرف القدامى والمحدثون – كما هو معروف – مدى أهمية العناية بجماليات النصوص الأدبية العربية الشعرية والنثرية المختارة والمتميّزة في خدمة اللغة العربية الشريفة، وفي الرقيّ بعقول الناشئة وشداة الأدب، بل في إمتاع كبار الأدباء والنقدة، ومتذوقي الآداب الرفيعة؛ فاعتنوا بهذه النصوص الرفيعة وإشاعتها، اختيارا ودراسة، وتذوقا وتحليلا لمستوياتها المضمونيّة والشكلية، رغبة منهم في تعميم اللغة العربية وجمالياتها وفي تعليم روائع نصوصها، وبدائع تفكيرها وتعبيرها، ونشر شذاها الفوّاح، ونسائمها الشذية في المشارق والمغارب؛ إذ لا شيء يشيع عبقرية هذه اللغة العربية في الآفاق ويبشّر بها – كما أدرك ذلك القدامى والمحدثون من شوامخها- سوى نشر جماليات النصوص الشعرية والنثرية العربية المتفوقة.

ومن أسفٍ أنّ السنوات الأخيرة، أي منذ النصف الأخير من القرن العشرين تقريبا، الذي أعقب عصر الشوامخ والأفذاذ من مختاري النصوص الأدبية الراقية، ومحللي جمالياتها ودارسيها الأدباء والنقاد المتميزين من أمثال الشيخ أحمد الإسكندري والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد حسن الزيات والدكتور أحمد أمين والأستاذ الشاعر علي الجارم.

أقول من أسف أنّ هذه السنوات الأخيرة من النصف الثاني من القرن العشرين قد شهدت تراجعا وضمورا، بل ضعفا في العناية بالنصوص الأدبية على مستوى التعليم العام، ومستوى التعليم المتقدم والعالي، في اختيار النصوص الأدبية التي تُغذي اللسان والوجدان من جهة، وأيضا في مظهر الشرح الأدبي، وتحليل جماليات النصوص من حيث المضامين والأشكال من جهة أخرى، مما كان سببا مباشرا في ضعف اللغة العربية وتراجع امتدادها وانتشارها.

ومن أسفٍ أيضا أننا لم نعد نرى بعد جيل العمالقة في الجيل المذكور، إلّا أعمالا باهتة في اختيار النصوص الأدبية، وفي خدمتها ومعالجتها، حيث صار يقوم بها بعض الموجهين أو المدرسين في إعداد وظيفي قاصر ورتيب ومشوه أحيانا.

وما من ريب في أنّ هذا الأداء القاصر الرتيب، بل المشوّه الذي ساد في مناهج النصوص الأدبية والمقررات الدراسية في السنوات الأخيرة في العالم العربي، والذي قلّت فيه العناية بهذا الدور العملي الفعّال في تحليل جماليات النصوص الأدبية من حيث الاختيار والشرح والتحليل الفنّي في مستويات التعليم المختلفة، مما أدى إلى ضعف هذا الدور العمليّ للنصوص الأدبية عن الدور الإيجابي الذي كان مختارو النصوص وشراحها يؤدونه منذ أقدم العصور من لدن المفضل الضبّي والأصمعي والقرشي والرضيّ إلى العصر الحديث الذي أشرنا إلى طائفة من شوامخه، وهو ما ترتب عنه ضعف تأثير النصوص الأدبية بجمالياتها في خدمة اللغة العربية، وفي تكوين الناشئة ومحبّي اللغة العربية ومتعلميها، مما جعل هذه اللغة هدفا للمخاطر التي تتهددها، وتؤذن بانحسار ظلالها وبتهوين أدوارها في تعليم اللغة العربية في مستوى التعليم العام، والتعليم الجامعي والعالي في العالم العربي والإسلامي.

إنّ ما كنا نعرفه من أبناء جيلنا في الستينيات وفيما سبقنا من أجيال في المدارس والمعاهد والجامعات من التوفر على التعلق بالمحفوظات وحفظ النصوص الأدبية، ومن استذكار روائع القصائد وإنشادها واستنشادها وعقد المطارحات الشعرية والمغالبة فيها، لم يعد من المظاهر الأدبية واللغوية السائدة المعمول بها الآن في التعليم العام والتعليم الجامعي والعالي، بل اندرست تلك المظاهر واندثرت في مساقات مقرراتهما ومناهجهما، وهو ما كان مظهرا من مظاهر ضعف اللغة العربية على الألسنة والأقلام في الأجيال الحاضرة، كما كان من المظاهر الملموسة فيما تعانيه اللغة العربية من المخاطر، والداعية لنا جميعا إلى وجوب تحقيق الوقفة الجادة في نصرة هذه اللغة الشريفة، لغة الأمة العربية والإسلامية، ومن قبل هذا لغة القرآن الكريم.

وقد تكفّلت هذه الورقة البحثية – من خلال تجربة كاتبها الطويلة في حقل تدريس اللغة العربية في التعليم العام والتعليم الجامعي والعالي زمنا تجاوز الأربعين سنة – أن تنهض ببيان أهمية العناية باختيار النصوص الأدبية واقتراح منهج عملي للرقي بمستويات تحليل جمالياتها في خدمة اللغة العربية المهددة – كما تقدم – بالمخاطر.

والذي أذهب إليه وأقترحه في هذه الورقة التي أُسهم بها في معالجة دفع هذا الخطر الداهم – قبل تحديد معالم المنهج التجديدي المقترح لتحليل جماليات النصوص الأدبية وتطوير طرائقها في مستوى التعليم الجامعي والعالي لمجابهة المخاطر من جهة، وتفعيل التعريف بجماليات النصوص الأدبية في خدمة اللغة العربية من جهة أخرى، من حيث التجربة الشخصية للباحث في تدريس هذه اللغة ونصوصها- وجوب أن يعنى المهتمون من المدرسين والموجهين في التعليم العام، والأساتذة وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمكلفون بوضع المناهج والمقررات في تدريس النصوص الأدبية وتحليل جمالياتها بثلاثة أركان أساسية نرى أهميتها وفاعليتها في الارتفاع بالرقي بدراسة النصوص وتحليلها للحفاظ على اللغة العربية وصيانتها والإعلاء بأساليب تعليمها ونشرها:

1- **الركن الأول**: التأكيد على العناية بأنّ هذه النصوص الأدبية الشعرية والنثرية المنتقاة تنتمي إلى أجناسها الأدبية القديمة والحديثة: الشعري التقليدي الموروث، أو الشعر التجديدي المستحدث، أو فنّ الرسالة أو فنّ الوصيّة أو فنّ الرحلة أو فن المقامة، أو فن المقالة أو فن القصة أو فن الرواية ...الخ.

ومن هذا التأكيد على دراسة النصوص في سياق طبائع أجناسها، وأصول فنياتها، يتوجب على الدارسين والمحللين تعريف الطلاب والدارسين بهذه الأجناس الأدبية ومكوناتها وشرائطها، وأهم كتابها وشعرائها وتعريفهم أيضا بأهم كتبهم، وفي ذلك إغراء محمود بقراءة المزيد من نصوص تلك الأجناس المجهولة وحثٌّ على التعرّف على طبائعها، وتوسيع لمدارك الطلاب والمتلقين في التعليم الثانوي والجامعي والعالي وهو ما قصّرت المناهج والمقررات في القيام به وتطبيقه.

2- **الركن الثاني**: الاختيار الجيّد للنصوص الأدبية المنطوقة والمنثورة التي نريد أن نثري بها ملكات الطلاب والدارسين، بحيث تكون نصوصا محبّبة إليهم، قريبة من اهتمامهم ومغذية لعقولهم، ومثرية لوجداناتهم بجمالية اللغة وثروتها

اللفظية والتعبيرية، وبراعة التصوير، بحيث تكسب هذه النصوص المنتخبة – على تعدّد أجناسها وفنونها- المتلقين اللغة السليمة الراقية من حيث التفكير والتعبير، وأن نستبعد في تدريسنا اللغة النصوص الضعيفة التقريرية التي لا يعمر بها الوجدان، ولا يقوى بها اللسان، وأن نختار في هذا الانتخاب المتميزين من الأساتذة والموجهين المشهود لهم بسلامة الذائقة وحسن التكوين، كما يجب أن نوجههم في هذا الاختيار إلى الاستعانة بكتب الاختيارات الرائعة التي انتقى نصوصها اللغويون الأعلام والأدباء والنقاد الفخام في القديم والحديث، من أمثال المفضل الضبّي وعبد الملك بن قريب الأصمعي والقرشي.

وفي الحديث من أمثال محمود سامي البارودي وأحمد الإسكندري والدكتور طه حسين والدكتور خليفة محمد التليسي والشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس).

ومن الملاحظ أنّ جلّ النصوص المختارة في كتب الاختيارات المذكورة تجنح في الاختيار إلى الانتخاب من روائع الأشعار العربية في الأغراض المختلفة، إلا أنّ الذي نريد التوكيد عليه وجوب أن ينصبّ اهتمامنا في دائرة اختيار النصوص الأدبية أيضا على مبدأ الإهتمام الكبير على انتخاب مختاراتنا في النصوص الأدبية المتميزة على الأجناس الأدبية النثرية المختلفة والمتميزة والتي لا تقل أهمية وتأثيرا عن روائع الأشعار والقصائد، ضرورةَ أنّ الأدب يشمل بمفهومه الدقيق الأجناس الشعرية كما يشمل أيضا الأجناس النثرية بمختلف فنونها.

3- ضرورة الاهتمام في تدريس جماليات النصوص الأدبية الشعرية والنثرية وتحليلها، مثل بقية فروع اللغة العربية الأخرى بالاستعانة كلما أمكن باستخدام المستحدثات الحضارية، ووسائل الإيضاح التي من شأنها توضيح المعلومات وترسيخها، وتثبيت الحقائق وإجلاؤها، والكشف عن أسرارها، وربط المادة بوقائعها، فإن استعمال الأفلام والأشرطة والصور وغيرها من الوسائل والمستحدثات، تفيد كثيرا في الرقيّ بتدريس النصوص وشرحها وتحليل مظاهر جمالياتها ، وهو ما كان مغفولا عنه في المناهج والمقرّرات القديمة التي كانت تقتصر في تدريس جماليات النصوص الأدبية على وسائل تقليدية قريبة ومحدودة.

بعد اللفت إلى تلك الأركان التي نرى أهميتها في تدريس النصوص الأدبية وتحليلها، باعتبارها أركانا أساسية وفاعلة في الرقيّ بهذه المادة المساعدة في خدمة اللغة العربية لكي تواجه المخاطر التي تهدّدها في الوقت الحاضر، ننتقل الآن إلى

الحديث عن الطرائق الفاعلة في الرقيّ بمستويات تحليل جماليات النص الأدبي المنظوم والمنثور.

تتركز رؤيتنا في هذه الطرائق الفاعلة، وفي إصلاح التدريس والشرح الأدبي للنصوص المنظومة والمنثورة على ضرورة الاهتمام بأنّ النص الأدبي الممتاز بل المختار ينبغي أن ينظر إليه على أنه عملة صعبة وغالية ذات وجهين متكاملين، وهو ما يوجب على شارح النص ومحلله الحديث عن كل وجه بما يناسبه من التوضيح والتفسير حتى تبين قيمة هذه العملة النصيّة الجيدة.

لا جدال في أنّ غايتنا بهذا النصّ الأدبيّ، وإجلائه ينبغي أنّ تنصبّ على تحليله من خلال مستويين:

الأول: **تحليل هذا النصّ الأدبيّ المتميّز والمختار من خارجه.**

الآخر: **تحليل جماليات النصّ المذكور، والكشف عنه من داخله.**

إذ لا مشاحة في إنّ النصّ الأدبيّ إنما هو بنية متماسكة ومتكاملة، بل ومتداخلة سواء في الوجهة الأولى أو في الوجهة الأخرى، وإنما آثرنا هذا الفصل المنهجي أو الشكلي بين هاتين الوجهتين لمجرد الإيضاح، ولأنه يساعدنا كثيرا في بيان مستويات تحليل جماليات النصّ الأدبيّ، وتوضيح منهجه المقترح.

وسنعمد في تقريب هذا المنهج العلمي المقترح، وفي إيضاح أهمية العناية والرقي بمستويات تحليل جماليات النصّ الأدبيّ في خدمة اللغة العربية المهدّدة بالمخاطر إلى مجلى نظري مؤيد بمجلى تطبيقي وإجرائي من خلال دراسة نصّ شعري للشاعر المشهور أبي الطيب المتنبئ(354) في مدح حاكمه سيف الدولة الحمداني بمناسبة فتحه حصن مرعش وبنائه سنة (341 / 952)، وهي القصيدة المشهورة التي يقول في مطلعها:

فـديناك مـن ربـع وإن زدتنـا كربـا فإنـك كنـت الشـرق للشـمس والغربـا

والتي جعل خاتمتها قوله:

فمـن كـان يرضـي اللـؤم والكفـر ملكـه فهـذا الـذي يرضـي المكـارم والربّـا

وهذا هو الجزء الذي نريد أن ندرسه من نص قصيدة المتنبيء:

فَـدَيْناكَ مِـنْ رَبْـعٍ وَإنْ زِدْتَنَـا كرْبـا فإنّـكَ كنـتَ الشـرْقَ للشـمسِ وَالغَرْبَـا

وَكَيفَ عَرَفْنا رَسْمَ مَنْ لم يدَعْ لَنا ... فُؤاداً لِعِرْفانِ الرّسومِ وَلا لُبّا

نَزَلْنَا عَنِ الأكوارِ نَمشِي كَرامَةً ... لمَنْ بَانَ عَنهُ أنْ نُلِمّ بهِ رَكْبَا

نَذُمُّ السّحابَ الغُرَّ في فِعْلِهَا بِهِ ... وَنُعرِضُ عَنها كُلّما طَلَعتْ عَتْبَا

وَمن صَحِبَ الدّنيا طَوِيلاً تَقَلّبَتْ ... على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذبَا

وَكيفَ التذاذي بالأصائِلِ وَالضّحَى ... إذا لم يَعُدْ ذاكَ النّسيمُ الذي هَبّا

ذكَرْتُ بهِ وَصْلاً كأنْ لم أفُزْ بِهِ ... وَعَيْشاً كأنّي كنتُ أقْطَعُهُ وَثْبَا

لَقد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بهَا وَبي ... وَزَوّدَني في السّيرِ ما زَوّدَ الضّبّا

وَمَن تكُنِ الأسْدُ الضّواري جُدودَه ... يكُنْ لَيلُهُ صُبْحاً وَمَطعمُهُ غصْبَا

وَلَسْتُ أبالي بَعدَ إدراكيَ العُلَا ... أكانَ ثُراثاً ما تَناوَلْتُ أمْ كَسْبَا؟

فَرُبّ غُلامٍ عَلّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ ... كتعليمِ سيفِ الدّوْلَةِ الطّعنَ والضرْبَا

إذا الدّوْلَةُ استكفَتْ بهِ في مُلِمّةٍ ... كفاها فكانَ السّيفَ والكَفّ والقَلْبَا

تُهابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدائِدٌ ... فكَيْفَ إذا كانَتْ نِزارِيّةً عُرْبَا

وَيُرْهَبُ نَابُ اللّيثِ وَاللّيْثُ وَحدَهُ ... فكَيْفَ إذا كانَ اللّيُوثُ لهُ صَحبَا

عَلِيمٌ بأسرارِ الدّيَانَاتِ وَاللّغَى ... لهُ خَطَرَاتٌ تَفضَحُ النّاسَ والكُتْبَا

هَنيئاً لأهْلِ الثّغْرِ رَأيُكَ فيهِمِ ... وَأنّكَ حزْبَ اللهِ صرْتَ لهمْ حِزْبَا

سَراياكَ تَثْرَى والدّمُسْتُقُ هارِبٌ ... وَأصْحابُهُ قَتْلَى وَأمْوالُهُ نُهْبَى

وَخَلّى العَذارَى والبَطاريقَ والقُرَى ... وَشُعثَ النّصارَى والقَرابينَ وَالصُّلبَا

أرَى كُلّنَا يَبْغي الحَيَاةَ لنَفْسِهِ ... حَريصاً عَلَيها مُسْتَهاماً بها صَبّا

فحُبُّ الجَبَانِ النّفْسَ أوْرَدَهُ البَقَا ... وَحُبُّ الشّجاعِ الحرْبَ أوْرَدهُ الحرْبَا

وَما الفَرْقُ ما بَينَ الأنامِ وَبَيْنَهُ ... إذا حَذِرَ المحذورَ وَاستصْعبَ الصّعبَا

كأنّ نُجُومَ اللّيْلِ خافَتْ مُغَارَهُ ... فمَدّتْ عَلَيْها مِنْ عَجاجَتِهِ حُجْبَا

فمن كانَ يُرْضِي اللّؤمَ والكفرَ مُلكُهُ ... فهذا الذي يُرْضِي المكارِمَ وَالرّبّا

أولا: مستوى التحليل من خارج النصّ.

إن الذي يريد أن يلفت إليه الباحث النظر في هذا البحث بعد مرحلة فهم النص, والقدرة على فهمه وإضاءته مما يكشف عن مضامينه وفحواه ضرورة أن يُعنى محللو النصوص الأدبية في الأجناس النثرية والشعرية المختلفة المراد تحليلها إلى جانب تحليل بنيات النصّ الأدبيّ – وهو المستوى الآخر الذي سنقف عند مكوناته – بهذا الجانب – الذي سميناه ضمن هذا الترتيب والتفكيك المدرسي أو المنهجي- الجانب الخارجي أو خارج النص، والذي ينبغي أن يهتم فيه محلل النص بالكشف عن الحياة الخاصة والحياة العامة، كما ينبغي أن يعنى فيه أيضا بنسبة النص المدروس في إطار طبيعة جنسه الأدبي.

وخلاصة القول فيما ينبغي أن تتوجه إليه عناية المدرسين والمربين والموجهين ومحللي النصوص الأدبية المنظومة والمنثورة، ضمن مستوى التحليل من خارج النص إلى هذه الجوانب والتوجّهات:

1. **تحليل الحياة الخاصة للمبدع (شاعرا أو ناثرا)** وذلك بالكشف عن مناحي ولادته وأصوله وتكوينه النفسي والمعرفي، إذ أن في هذا التحليل، بل في هذا التعريف ما يتيح أحيانا فرصة لمعرفة مدى ارتباط النصّ المدروس بنفسية قائله أو كاتبه، إذ لم يعد مقنعا ما كانت تاتي به كتب مقررات النصوص القديمة من تعريف مبدع النص في سطر أو سطرين قاصرين، لا يلقيان أضواء كاشفة عن طبيعة المبدع وإبداعه.

ففي هذا النصّ المختار للتحليل (نص المتنبئ) يمكننا أن نعرّف المبدع بقولنا:

هو شاعر العربية الأشهر أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي، ولد في بني كنده في الكوفة، ثم رحل عنها مع أبيه لما انكشفت أن لهما صلة بالقرامطة، وفي هذا الطور نظم شعر صباه، وظل على ذلك إلى أن اتصل بسيف الدولة الحمداني بأنطاكية سنة (915/303) فقوي شعره، وعظم أمره، كما اتسعت طموحاته ورغباته، ثم اتصل بغيره من حكام البلدان والأمصار فعظمت مطامحه، واشتهر شعره المدحي الرائع في المدح والتكسب، وأعطت له الحياة من التأمل في الكون، وفي حياة الناس فرصا في النظر وهو ما كان له صداه في شعره المدحي والتكسبي والحكمي.

ولأبي الطيب ديوان شعر ضخم سار في الآفاق، وحظي بالكثير من الشروح والدراسات، كما نال تقدير العلماء والأدباء في القديم والحديث، وكانت وفاته في عام (965/354).

2. الحياة العامة:

والجانب الثاني المتصل بخارج النص، له وشيجة وارتباط وثيق بالجانب الأول المتمثل في الحياة الخاصة، ونعني بهذا الجانب التعريف الوجيز بالحياة العامة التي عاش فيها مبدع النصّ، وتأثر – بلا ريب- بمعطياتها، بل ربما أثّر فيها على نحو ما، أي أنّنا ننتظر من محلل النصّ الأدبي - ضمن هذا المنهج –أن يكون على دراية بالحياة العامة التي عاش فيها مبدع النصّ، وتأثر بها، والتي تشمل في حالة التعريف بحياة المتنبئ البيئة والعصر اللذين عاشهما، وأن ينقل بإيجاز إلى الطلاب والدرسين ملامح من تلك الحياة العامة، وأن يبين ما أمكن انعكاس ظلال البيئة والعصر وأثرهما في إبداع الأديب، فما من شك في أن الحياة العامة بكل معطياتها وتجلياتها قد تركت طوابعها وانعكاساتها في حياة كل من امرئ القيس وعنترة بن شداد، وفي شعر حسّان بن ثابت وابن زيدون والمتنبئ وشوقي ومصطفى صادق الرافعي وطه حسين وعباس العقاد, ولا بأس على محلل النص الأدبي أن يمزج بين الحياتين الخاصة والعامة في هذا التقديم خارج النص.

3. نسبة النص:

كما يتركز هذا الجانب من جوانب التحليل الخارجي للنص المدروس على نسبة النص، وتشمل هذه النسبة، أو بعبارة أخرى يجب أن يعنى محلل النص في هذه النسبة بأربعة أشياء:

أ. **صحّة نسبة النصّ الأدبي إلى قائله**، ومن المحمود أنّ جلّ النصوص الأدبية الشعرية والنثرية منسوبة نسبة صحيحة ودقيقة إلى أصحابها، ولكن عددا قليلا – والحمد لله- غير منسوب إلى مبدع معيّن مثل القصيدة اليتيمة المشهورة، أو أنه منسوب إلى عدد من المبدعين مثل عينية أبي الحسن بن زريق البغدادي أو ابن الكاتب؛ فيحسن بمحلل النصّ أن ينصّ على ذلك، ويشير إليه.
ولا خلاف بين الباحثين والدارسين في أن النصّ الذي اخترناه لتطبيق هذا المنهج، أنه منسوب إلى أبي الطيب المتنبي، نسبة حقيقية، ومثبت في ديوانه المعروف في الجزء الأول صفحة 56.

ب. **ضرورة أن يعني محلل النص بالحديث عن المناسبة التي قال فيها المبدع هذا النصّ**، إذ في ذلك ربط للنصّ بالمناسبة، وبباعث القول وكشف عن

أبعاده ودلالاته، وتفسير لبعض أسراره ومخباءاته، وهل ثمة نصّ أدبي بلا مناسبة؟!.

ولذلك يمكننا أن نقول في قصيدة المتنبئ أن هذه القصيدة من روائع شعر المتنبي، بل من روائع الشعر العربي وفرائده، قالها إبّان البطولات العربية والإسلامية، وازدهار مجد الأمة في حروبها الحامية ضدّ بلاد الروم والغزو الصليبي، يمدح بها حاكما فاتحا مقداما من حكام دولة بني حمدان في الشام هو سيف الدولة الحمداني، وهذه القصيدة مزيج من النسيب والتشبيب في البداية على عادة شعراء العرب في فواتح قصائدهم، وطوالع أشعارهم، ومن المديح الصادق لخصال الممدوح، مع التوشية بالحكمة التي تمثل خلاصة تجارب الشاعر، وهو ما عرف به أبو الطيب المتنبئ في سائر قصائده وأشعاره.

ج. **نسبة النص إلى جنسه الذي ينتمي إليه**، ببيان هل هذا النصّ المدروس من نوع الشعر أو من نوع النثر.

فإذا كان النص من الشعر، فعلى محلل النصّ أن يذكر هل هو من الشعر التقليدي الموروث (الخليلي) ، أو أنه من النوع التجديدي أو المستحدث أي من الموشحات، أو من الدوبيتات، أو من الشعر الحرّ، أو المرسل، أو شعر التفعيلة مثلا، ففي نص المتنبئ الذي جعلناه أنموذجا تطبيقيا نقول: إن النصّ نصّ شعريّ موروث، وهو من البحر الطويل ضمن الوزان الخليلية، قافيته بائية متبوعة بألف الإطلاق، أما إذا كان النصّ المدروس من جنس النثر، فعلى محلل النص أن يذكر هل هو من فنّ المقامة أو المقالة أو الرسالة أو من فن الرحلة أو غير ذلك، كما يحسن بمحلل النص أن يحدد طبيعة لون النثر داخل جنسه، فإذا كان النص ضمن فنّ المقامة على سبيل المثال، فعليه أن يذكر نوعها، هل هي من المقامة الوعظية،أومن مقامات الكدية أو المقامات البلدانية أو من المقامات الإنتقادية، أو غير ذلك، وما قيل في فن المقامات، يقال أيضا في تحديد أي نوع في جنسه، أي في جنس فن الرحلة، أو في جنس فن المقالة ، وهذا راجع في العموم – كما ذكرنا- إلى وجوب العناية بتدريس الأجناس الأدبية المختلفة وأنواعها التي لم تنل العناية الكافية في المناهج والمقررات القديمة في كتب وزارات التربية والتعليم.

د- **نسبة النص الأدبي إلى الاتجاه الأدبيّ والفنيّ الذي ينتمي إليه**:

فمن المعروف أن الأدباء والمبدعين في القديم والحديث انتمى الكثير منهم، بل انتمى إبداعهم إلى اتجاهات مختلفة في الإتباع والابتداع؛ فمنهم من اتجه إلى مذهب السليقة، ومنهم من اتجه إلى مذهب الصنعة، ومنهم من نحى منحى التقليد، ومن من

نحى منحى التجديد، كذلك نجد من المحدثين من انتمى إلى جماعة البعث والإحياء، ومنهم من سار في ركب دعاة التجديد (اتجاه الديوان أو أبوللو أو المهجر)، ومنهم من سلك في التجديد مسلكا مغايرا، مثل جماعة الشعر الحر أو شعر التفعيلة وغير ذلك، فهذا المظهر من الاتجاهات الأدبية والفنّية القديمة والحديثة يجب أن يُشار إليه؛لأنه يدلنا ونحن نحلل جماليات النصوص الأدبية الشعرية والنثرية على مظهر فني ونقدي مهم ينتمي إليه صاحب النصّ الذي ندرسه، ويدلنا –أيضا- على منحى تفكيره وتعبيره، كما يساعدنا على تحديد موقع إبداعه، فمن المعروف أنّ المتنبئ صاحب النص المدروس من شعراء المعاني وإمام الطريقة الابتداعية.

إننا بهذا التحليل للنصّ الأدبي المدروس من الخارج نعطي للمتلقي في المستوى الثانوي والجامعي، بل العالي مادة نقدية ضرورية كاشفة تعينه – بلا ريب- على تحليل النصّ في مستواه الآخر.

ثانيا: مستوى التحليل من داخل النصّ:

إذا كان تحليل النصوص الأدبية قد عرف - في المناهج والمقررات القديمة كما وضحنا- بالتقصير في دراسته من الخارج؛ فإنّ ما نلحظه بجلاء من تقصير وقصور في تحليل جماليات النص من داخله في تلك النصوص من المناهج والمقررات كان جليا بينا، وهو ما جعل الطلاب والمتلقين بسبب ذلك القصور والتقصير في دراسة تلك النصوص عاجزين عن تلقيها والتفاعل مع مكوناتها الأدبية والفنية، بل عن تشرُّبِ مضامينها، وتذوق أشكالها.

والذي لا خلاف فيه إن النص الأدبي المتخيّر والممتاز حسب انتخابنا له من حيث المحتوى والإطار، يمثل إبداعا فنيا متفوقا، أبدعه الكاتب أو الشاعر في مناسبة داعية بالضرورة إلى نتاجه، وفق معايير فنية مائزة أعطت للنص فرصة التقديم والإعجاب لدى النقاد والمحللين أو الشراح ليكشفوا عن مناحي العبقرية في بنياته وجمالياته.

ولذلك توجّب على من يريد شرح بل تحليل أي نصّ أدبيّ متميز في أي جنس من الأجناس الأدبية أو في أيّ فن من فنونها المختلفة أن يدرسه ويحلله – من داخله- من جهتين:

1- تحليله من حيث جماليات المضمون.

2- تحليله من حيث جماليات الأشكال.

1- تحليل النص الأدبي من حيث جماليات المضمون:

فعلى محلل النصّ الأدبي نثره وشعره أن يتوخّى التوسع في تحليل جماليات النص المختلفة من حيث المضمون، فيتناول المضمون ومكوناته من هذه النواحي:

أ. **ناحية الكشف عن جماليات أفكار النص**:

أي من حيث بيان الغرض الرئيس للنص، وإظهار الفكرة الأساسية الكلية له، ثم إبراز الأفكار الجزئية الداخلية الأخرى الرافدة للغرض والفكرة الأساسية الكلية، وبيان مدى جِدّتها وقوتها وعمقها، فقصيدة أبي الطيب المتنبئ في مدح سيف الدولة الحمداني، وذكر حصن مرعش، غرضها الرئيس هو غرض المدح، وفكرتها الأساس مدح سيف الدولة الحمداني الذي ملأ حياة الدولة الحمدانية بالانتصارات على دولة الروم التي منيت منه بالعديد من الانكسارات والهزائم، والتي كان من بينها هزيمتها المنكرة في حصن مرعش، موضوع هذه القصيدة أو الفكرة الأساسية فيها، أما الأفكار الجزئية الداخلية الخادمة لتلك الفكرة الرئيسية، فيمكن استخلاصها من مسرد القصيدة التي تعدّ ثلاثا وعشرين بيتا، حيث يتسنى لمحلّل النصّ تحديدها وتنبيه المتلقي لها في هذه الأفكار الجزئية.

- ❖ افتتاح النص المدحي بفاتحة غزلية ((ذكر فيها ربع شمسه))
- ❖ مدح سيف الدولة وذكر مواهبه ومزاياه النفسية والعلمية.
- ❖ التوكيد على شجاعة الممدوح وبطولاته، وبخاصة في هذه المعركة.
- ❖ الهزيمة النكراء التي مني به((الدمستق)) ملك الروم وجنده.

وهنا وفي هذا المقام يجب ملاحظة مدى انسجام الأفكار العامة للنص بعضها مع بعض وترابطها , ومدى عمقها وسطحيتها, وما مواضع الجدة والابتكار فيها.

ب. **ناحية الكشف عن العاطفة وجمالياتها**:

فقد كانت العاطفة في تدريس النصوص الأدبية في المقررات القديمة فكرة مغيبة أو مضمونا غائبا، كما كانت في كتب شروح النصوص الأدبية عند المحدّثين مظهرا ضبابيا غائما، والذي نراه في هذا المنهج التجديدي ضمن تفعيل تدريس النصوص الأدبية النثيرة والنظيمة أن العاطفة جزء أصيل ضمن دراسة جمالية المضمون وتحليله، وأنّ من الواجب الأكيد على محلل النص في هذا المنهج التجديديّ أن تحلل العاطفة وجمالياتها تحليلا منهجيا من حيث وجودها وانعدامها، ومن حيث صدقها أو كذبها، ثم بيانها من حيث القوة والضعف، ومن حيث العمق والسطحية، وما يتصل بالعاطفة، ومدى ارتباطها

بنفسية الأديب، أو الباث وحالته؛ فالعاطفة –في هذا المنهج الذي نطمح إلى تطبيقه - مكوّن أساسيّ من مكوّنات جماليات مضامين الإبداع الأدبي، لا يمكن تجاهله وتغييبه في دراسة أي نصّ أدبي وتحليله.

ويمكن أن نذكر في سياق تحليلنا لنص المتنبئ المختار أنّ سرّ تفوّقه في أشعار الأمداح يرجع إلى ما امتاز به هذا النصّ من الصدق الأخلاقي والعاطفي؛ فقد كان المتنبئ معجبا بحق بشخصية ممدوحه سيف الدولة، كما أنّه كان صادقا فى الإعجاب ببطولته، محبا لشجاعته ومواقفه الجهادية.

ج. تحليل الجانب الدلالي في النص:

ومحللو جماليات النصوص الأدبية ضمن هذا المنهج الجديد في تفعيل النصوص الشعرية والنثرية المذكورة مدعوون أيضا إلى النظر إليها من حيث العناية بالمستوى الدلالي، أو بما يسميه النّقاد والسّراج القدامى ((التلميح)) أو ما يطلق عليه المحدّثون ((الاستدعاء))، ويريدون بذلك ما يستدعيه الأديب والمبدع في الشعر والنثر من أسماء الأعلام والبلدان والوقائع والنوازل والمعارك والحوادث التاريخية وأيام العرب والإسلام وغير ذلك من استدعاء الأسماء والمسمّيات التي تحمل دلالات دالة، وتلميحات موحية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن المستوى الدلالي في نصّ المتنبئ يمكن أن نمثل له من خلال ما أورده في نصّه المشار إليه من ذكره هذه الدلالات: سيوف الهند, نزارية عربا, أهل الثغر, حزب الله, الدمستق, البطاريق, الكفر, الربا.

أما الناحية الأخرى التي يجب أن يختار النصّ الأدبي ويشرح، بل تحلل جمالياته المختلفة من خلالها – وفق هذا المنهج التجديدي- فهي تحليل بنى جماليات النص الأدبي المختار من حيث أشكاله الفنية المتنوعة.

2- تحليل النص الأدبي من حيث جماليات الأشكال:

أي المظاهر الشكلية التي يعمد الأديب المبدع سواء أكان شاعرا أم ناثرا أن يبرز مضامينه ومعانيه من خلالها, ومن المعروف أنّ هذه الأشكال الفنية تتخذ، أو يجب أن تتخذ عند من يتصدّى لدراسة النصوص الأدبية، وتحليلها عدة اتجاهات ومستويات بحيث تتميز من خلالها مدى قوة النصّ الأدبي المدروس، وبيان فاعليته وتأثيره، وجوانب جمالياته، ومن هذه المستويات:

أ. **المستوى الموسيقي**، والذي يجب أن يعنى فيه محلل جماليات النصّ ببيان نسبة النصّ إلى موسيقاه الخارجية ، هل هي منسوبة إلى الأوزان الخليلية فنذكر أن قصيدة المتنبئ في مدح سيف الدولة وحصن مرعش وبنائه في سنة (341 / 952) التي سبقت الإشارة إليها مثلا، هي من البحر الطويل، وأن قافيتها بائية مطلقة، وأنّ هذا الإطلاق أضفى على الموسيقى زيادة إيقاع وتأثير وروعة، كما أنّ الوزن المذكور يعدّ من الأوزان الموسيقية الرائعة البديعية.

أما إذا كانت القصيدة أو النصّ المدروس، يتبع فيه الشاعر اتجاها نغميا أو إيقاعيا آخر غير الأوزان الخليلية، كأنّ يتبع في نصّه صناعة فنّ الدوبيت أو فنّ الموشّح.

كذلك ينبغي على محلل النص أن يذكر في سياق الحديث عن الموسيقى الخارجية ما ورد في النص من ظاهرة التكرار المعدودة هي الأخرى من مظاهر هذه الموسيقى, فيشير إلى ما ورد في النص المنظوم أو المنثور إلى التكرار الحرفي, وتكرار الكلمة أو اللفظة, وتكرار الجمل والتعابير, وإلى ظاهرة السجع الافرادي والتوليدي في النثر, وأثر ذلك على النص, كما ينبغي أيضا التنبيه على ما يعرف في هذه الموسيقى من ظاهرة التقسيم في داخل الأبيات, وفي مساقات الجمل من الألفاظ, أو الجمل المتوازنة التي تضفي على النصوص جماليات الموسيقى, مثل قول الشاعرة الخنساء:

هبـــــاط أوديـــــة, شـــــهاد أنديـــــة حمـــــال ألويـــــة, للجـــــيش جـــــرار

أو قول الناثر: (يا لها من سفينة, على الأموال أمينة, ذات دسر وألواح, تجري مع الرياح, وتطير بغير جناح).

ب. المستوى اللغوي:

وفي هذا المستوى تتجلى موسيقى النصّ الداخلية في مقابل الموسيقى الخارجية التي تمت دراستها من خلال الوزن والقافية وظاهرة التكرار؛ فعلى محلل جماليات النصّ أنّ يدرس في هذه الموسيقى الداخلية المقابلة لتلك الموسيقى الخارجية طبيعة الحروف التي تكوّنت منها الألفاظ والجمل، وملاحظة الغالب منها على النصّ، هل هي الحروف اللثوية أو الحروف الصفيرية، أو الحروف الحلقية مثلا، وبيان مكوّنات الألفاظ والجمل من حيث الطول والقصر، ومن حيث الوضوح والغموض، وطبيعة التعابير، هل هي من التعابير المألوفة

المتداولة، أو من التعابير الأدبية الراقية المتميزة, فلكل أديب معجمه الخاص, وأسلوبه الأدبي المتميز, ومن هنا جاء تميز النصوص وخصوصياتها.

وقد يسمح لمحلل النصّ في المستوى الجامعي والعالي أن يتقدّم في دراسة هذا المستوى اللغوي والأسلوبي أن يدرس ضمنه، ويحلل استخدام الصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية والإعرابية، كأن ندرس الأساليب الواردة في النص مثل أساليب الاستفهام والشرط والجمل الاسمية والفعلية في النصّ، ومواضع التقديم والتأخير فيه, ومواطن المعاضلة, وكأن نمرّن الطلاب على الإعراب؛ فنعيّن عددا من الأبيات نكلّفهم بإعرابها، أو بتعيين جملة من ألفاظ القصيدة نطلب منهم ذكر موقعها من الإعراب في سياقها، وهكذا.

وفي الحقّ إنّ هذا الجانب النحوي والإعرابي كان له ذكر وعناية في كتب شروح القدامى، ولكن كتب النصوص في المناهج والمقررات الحديثة أغفلت– بكل أسف- هذا الجانب، فكان في ذلك إضعاف لشأن اللغة في تحصيل الجيل الحديث والمعاصر الذي لم يستفد كطلاب اللغة في العصور القديمة من مثل هذا التدريب اللغوي، والتمرين النحوي والصرفي.
كذلك يتصل بوجوب دراسة المستوى اللغوي في النصّ الأدبي المؤثر، والذي من شأنه أن يساعد في خدمة اللغة العربية، وتقوية أساليب رقيها وتأثيرها أن يكشف محلل النصوص في المناهج الحديثة والمقترحة ومقرراتها عن جماليات التمظهرات البلاغية (البيانية والبديعية ومن علم المعاني)، مثلما نجد ذلك في مناهج الشروح الأدبية القديمة، فهي كما لا يخفى من مظاهر تجلية جماليات النصوص، وملامح إبداعاتها، بل من روائع تصويراتها الدالة على إبداعات الأدباء كتابا وشعراء، ومجلى قدرتهم على التفوّق والابتكار.
وهذا الذي ذكرناه من وجوب تجلية المظاهر البلاغية من تشبيهات واستعارات وكنايات وغير ذلك , والذي عني القدامى في شروحهم النصوص الأدبية المختلفة داخل في جملته فيما يسمى الخيال التفسيري الذي يتسع لتلك المظاهر والمباحث التي عني به المبدعون, إلا أن الذي نطالب به محلل النص الأدبي أن تتوجه عناية تحليله أيضا إلى الكشف عما إذا كان يوجد في النص شيء من الخيال التأليفي, أو الخيال الابتكاري ففي هذا الكشف إظهار العبقرية النص وخيال مبدعه.

فإنّ الناظر والمتأمل في نصّ قصيدة أبي الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني وذكر حصن مرعش، يرى أنّ مظاهر تبريز هذا الشاعر فيه اهتمامه من بداية طالعته إلى خواتيمه بتوشيتها بالمظاهر أو التمظهرات

البلاغية من العلوم الثلاثة على عادته الجارية في سائر قصائده في ديوانه المشهور.

ومن هذا المنطلق فإن الذي نلزم به محلل النصّ الأدبي النظيم والنثير – ضمن هذا المنهج – أن ينبّه المتلقي في قراءة نصّ مثل نصّ النص المذكور إلى ما استعان به هذا الشاعر في قصيدته من استخدام المظاهر البلاغية، مثل الطباق في البيت الأول والخامس والسادس وفي البيت العشرين، ومثل استخدام الاستعارة في البيت الأول وفي السادس والبيت التاسع من القصيدة، والكنايات كما في البيت السابع والثامن والثاني عشر والسابع عشر والثاني والعشرين وهكذا.

ثم يذكر أن جميع ذلك مندرج في الخيال التفسيري, ويبحث بعد ذلك عما إذا كان ورد في النص شيء من الخيال التأليفي أو الخيال الابتكاري.

التناص:

كذلك نرى من الايجابية التي يتم من خلالها تفعيل النصوص الأدبية، وإظهار جماليتها من خلال الموازنة والمناقدة دراسة ظاهرة ((التناص)) في النصوص الأدبية المتخيّرة والمختارة، لمعرفة مقدار ما استفاده المبدع من غيره من المبدعين في صناعة نصّه الإبداعي.

ومن المعروف أنّ التناص يعني في معناه القريب ((علاقة تفاعل بين نصوص سالفة أو معاصرة ونصّ مماثل، أو هو تعالق نصوص مع نصّ، والنصّ الجديد إعادة إنتاج لنصوص معروفة سابقة أو معاصرة قابعة في الوعي أو اللاوعي الفردي والجماعي))

فالتناص – أو الكشف عن ظاهرة التناص في النص الأدبي المدروس، يفيدنا كما يفيد الدارس والمتلقي في إدراك ثقافة الأديب المبدع وفي مقدار اطلاعه ومدى ما استفاده من المبدعين السابقين والمعاصرين من معانٍ ومبانٍ في إثراء نصّه الأدبي، كما أنّه يثري أيضا ثقافة المتلقي وملكته وذائقته الأدبية بما يستفيده من حاسة الربط بين النص المدروس والنصوص الأدبية المتميزة والمختلفة التي تعالق معها, ليس من ناحية المضمون والمعاني فحسب, بل من حيث الألفاظ والتعابير والنواحي البلاغية والخيالية أيضا.

إنّ هذا التحليل لجماليات النص الأدبي -من داخله ومن خارجه، وحسب طبيعة نوعه وجنسه وفنه في هذا المنهج الموسع- يقضي بنا لا محالة إلى تفعيل دراسة

النصوص الأدبية الشعرية والنثرية واستثمارها عمليا في خدمة اللغة العربية، والتمكين لها في النهوض والفاعلية، ومواجهة المخاطر التي تتهددها.

أ.د/ محمد مسعود جبران

عضو مجمع اللغة العربية الليبي

مصادر البحث ومراجعه

1_ أدبية النص, د صلاح رزق, القاهرة, دار الثقافة العربية, 1989.

2_ استقبال النص عند العرب, د محمد المبارك, بيروت, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, 1999.

3_ التحليل اللغوي للنص, كلاوس برينكر, ترجمة د سعيد حسن بحيري, القاهرة, مؤسسة المختار, 2010.

4_ تحليل النص السردي, محمد القاضي, تونس, المطبعة الأساسية, 1997.

5_ تحليل النص الشعري ـ بنية القصيدة, د محمد فتوح أحمد, مصر, دار المعارف, 1995.

6_ الترابط بين الشعر والنثر, د زاهر بن مرهون الداودي, عمان, دار جرير, 2010.

7_ تشريح النص, عبد الله الغذامي, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, 2006.

8_ جماليات النص الأدبي, د مسلم حسب حسين, لندن, دار السياب, 2007.

9_ علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات), د سعيد حسن بحيري, مصر, مؤسسة المختار, 2010.

10_ في الأدب وفنونه, علي بو ملحم, لبنان, المطبعة العصرية, لا ت.

11_ في تحليل النص الشعري, عادل ضرغام, الجزائر, منشورات الاختلاف, 2009.

12_ في ماهية النص الشعري, محمد عبد العظيم, لبنان, المؤسسة الجامعية, 1994.

13_ كيف تحلل نصا أدبيا, صدوق نور الدين, بيروت, منشورات القارئين, 2004.

14_ مدخل إلى تحليل النص الأدبي, د عبد القادر أبو شريفة, وحسين لافي قزق, عمان, دار الفكر, 2008.

15_ المنهجية في البحث الأدبي, د أحمد علبي, لبنان, دار الفارابي, 1999.

16_ النص الأدبي دراسة تحليلية تكاملية, د توفيق الفيل, قطر, لا مط, 1999.

17_ النص الشعري ومشكلات التفسير, د عاطف جودة نصر, مصر, مكتبة الشباب, 1989.

18_ نظرية علم النص, د حسام أحمد فرج, مصر, مكتبة الآداب, 2009.